

علاقة الذئب بالطيور والحشرات والزواحف والأسماك والطبيعة

الطيور الداجنة

الدجاج

جاء في المصايد والمطارد لكشاجم ما يلي :
"الدجاج إذا كان واقفاً على أغصان الأشجار والرفوف، فلو مرّ تحتها كلب، وسنور، وكل ثعلب، وكل شيء يطلبها، لم تتحرك، فإن مرّ ابن آوى بقربها، لم تبق منها واحدة إلا رمت بنفسها إليه ؛ لأن الذئب هو المقصود به...، وكذلك بني آوى والدجاج، ويُخَيَّل إليها أن ذلك مما ينفعها عنده"^(١).

إذن، فالدجاج بعض ما يصيده الذئب من الطيور الأليفة، غير أن في هذه المعلومة شيء من المبالغة، فهي تقول: "فإن مر ابن آوى بقربها، لم تبق منها واحدة إلا رمت بنفسها إليه...".

وهذا التأثير النفسي، أو الجاذبية الإيحائية، غير معترف بها علمياً، ولا تتحقق على أرض الواقع، فالمشاهدات تثبت غير ذلك تماماً، إنها تثبت أن الدجاج يفرّ من وجه الذئب - وابن آوى من جنسه - فيتعقبه، ويبذل جهداً في محاولة القبض عليه. ويرينا أحد المراجع العلمية صورة ملاحقة أحد الذئاب ديكاً، ثم تجتمع الذئاب عليه، تأكله^(٢).

(١) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ٤٤.

(٢) Freumd, Der Walfbamench, s. 83.

إن الذئب يتسلل داخل أحواش البيوت، ليجد شيئاً يأكله، ومما يجده هناك الفراخ، فيختطف منها، فيأكله^(١)، إذ تعدّ الطيور عامة مما تأكله الذئاب^(٢). قال الكميت:
 ويلدو لا ينال الذئب أفرخها ولا وحى الولد الداعين عرعار^(٣)

الطيور البرية

الطيور البرية غير الجارحة

الحمام البري:

ذكر الراعي أن من بين أطعمة الذئاب الحمام، ومن الطبيعي أن الذئب لا يقدر على صيد الحمام، ولكن إذا تمكن منه، أكله: والراعي يصف ذكر حمام وجد مكسور الجناح، فهو يصوت بصوته المعروف الهديل، وأضاف إليه صفة أخرى، وهي أنه كان في وقت الربيع، كناية عن السمنة، فجاءه الذئب ليأكله:
 كهذه كسر الرمة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلاً
 وقَعَ الربيع وقد تقارب خطوه ورأى بعقوته أزل نسولاً^(٤)
 وقد لوحظ أن الذئاب تأكل البط الطائر، والطيور عامة، وقت الصيف بشكل خاص^(٥).

(١) انظر، Harington, & Paguet, *Wolfs of the World*, p. 184.

(٢) انظر، Ibid, pp. 36-37, 75.

(٣) ابن منظور، اللسان، "عرر". وانظر، الأسدي، شعر الكميت بن زيد، ج ١، ص ١٨١. أي: ليس بها ذئب، لبعدها عن الناس.

(٤) الراعي، شعر الراعي، ص ص ٦٣-٦٤. عقوته: ساقه. الأزل: الخفيف الوريكين. نسولاً: ينبعث مسرعاً.

(٥) Mech, *The Wolf*, pp. 178-179.

النعام :

يتعاش الذئب والنعام في الصحراء ، ويهاب الذئب ذكر النعام ، يقول ابن

مقبل :

سَخَاخاً يُزَجِّي الذئب بين سهوبها وفحل النعام رِزُهُ وأزامله ^(١)
وكما هو واضح ، فإن الذئب في الصحراء العربية لا يطارد بمفرده إلا
الحيوانات الضعاف ، أو التي لا تستطيع الهرب منه ، ومما لا شك فيه أن النعامة تهرب
من الذئب ، إذا أدركت أنها ستقع فريسة له ، أو تقاومه . ومن هنا وجدنا الكميث
يقول : إن الذئب يسطو على فراخ النعام . ولكن الذكر يستطيع أن يدرأ عن فرخه
الخطر إذا تعرض له الذئب ، وذلك على الرغم مما عُرف عن النعام من حمق ، وتركه
بيضه في العراء ، حتى ليضل عنه . يقول الكميث :

وإن تَعَرَّض مُعْتَسِّ الذئاب له أوفى بأولق ذي الزبونة الحرب ^(٢)

وقالوا في تفسير قول ابن النطاح :

والذئب يلعب بالنعام الشارد

"الذئب لا يعرض لبيض النعام وفراخه حين لا يكونان حاضرين أو يكون
أحدهما ؛ لأنهما متى ناهضاه ، ركضه الذكر ، فرماه إلى الأنثى أعجلته الأنثى ،
فركضته ركضة تلقيه إلى الذكر ، فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه ، أو يُعجزهما هرباً ،
وإذا حاول ذلك منه أحدهما لم يَقوَ عليه ."

ويضيف الجاحظ : " وزعم أن نعامتين اعتورتا ذئباً ، فهزمتاه ، وصعد شجرة ،

(١) ابن مقبل ، ديوان ابن مقبل ، ص ٢٤١ . السخاخ : الأرض اللينة . الرز : الصوت . الأزامل : الأصوات
المختلفة .

(٢) الأسدي ، شعر الكميث بن زيد ، ج ١ ، ص ١٣١ . الأولق : الجنون . الزبونة : من زينه ، أي دفعه .
الحرب : العالم بالحرب .

فجالدهما، فَنَقَرَهُ أَحَدُهُمَا، فتناول الذئب رأسه، فقطعه، ثم نزل إلى الآخر، فساوره، فهزمه^(١).

وقال ابن مقبل، مبيِّناً أن الذئب "السباع"، تأكل بيض النعام:
 كَبِيضَةٌ أَذْحِيٌّ يُوْخِوْحُ فَوْقَهَا هِجَفَانُ مُرْتَاعَا الضَّحَى وَحَدَانِ
 أَحْسَا حَسِيْسًا مِنْ سِبَاعٍ وَطَائِفٍ فَلَا وَخَذَ إِلَّا دُونَ مَا يَخْدَانِ^(٢)
 وبَيَّنَّ ذُو الرِّمَّةِ أَنَّ الذَّئْبَ تَأْكُلُ فِرَاحَ النِّعَامِ، وَتَنْتَهِزُ فِرْصَةَ غِيَابِ النِّعَامِ،
 لَتَنْقُضَ عَلَيْهَا، فَقَالَ مَصَوِّرًا إِسْرَاعَ الْأَنْثَى وَالذَّكْرَ لِلْحَاقِ بِأَبْنَائِهَا قَبْلَ حُلُولِ
 الْمَسَاءِ:

لَا يَأْمَنَانِ سِبَاعَ اللَّيْلِ أَوْ بَرْدًا إِنْ أَظْلَمَا دُونَ أَطْفَالٍ لَهَا لَجَبٌ^(٣)
 "والسباع" هنا تنصرف أيضاً إلى الذئب.

ولم تأت المراجع على علاقة الذئب بالنعام، ولا بد أن الذئب تفعل ما تفعله
 الضباع في اقتحام أعشاش النعام، وأكل بيضها، أو افتراس فراخها، بل الهجوم على
 النعام نفسه^(٤)، وقد بين الشعراء كلتا الحالتين.

ويمكن تصور مطاردة الذئب، حسب تعبير ابن النطاح السابق: "والذئب
 يلعب بالنعام الشارد"، وفقاً لما جاء عن مطاردة الأسد النعام، حيث يلاحقها،
 وهي تعدو مسرعة، فتركله بأقدامها، إلا أن ثقل حجم النعامة يتيح للأسد نهس

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ٣٣٢-٣٣٣. اعتورتا: تداولتا.

(٢) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٣٧-٣٣٨. أذحي: مبيض النعام في الرمل، تدحوه النعامة
 برجلها، ثم تبيض فيه. يوخوخ: يصوت فوق البيضة. الهجف: الجاني الثقيل الكثير الريش. مرتاعا
 الضحى: أي أفزعهما شيء في الضحى. وحدان: منفردان.

(٣) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ١، ص ١٣٢. اللجب: الصوت. البرد: حبات ثلج المطر.

(٤) Milles, Kalahari Hyenas, pp. 83-85. (٤)

أفخاذها، فيسقطها^(١)، ورأينا الجاحظ يبين أن الذئب يقدر على النعامة وحدها، كما "يساورها".

الغربان:

تتفق الدراسات على مصاحبة الغربان للذئاب، ووجودها في أماكن تجمعها، وبالذات في المناطق الروسية الآسيوية^(٢). ويتوافق التراث العربي على تأكيد هذه الناحية، فهذا أحد الرجاز يقول:

وَالْأَعْوَرُ الْعَيْنِ مَمْعَ السَّرْحَالِ^(٣)

كما يبين جران العود وجود الغراب إلى جانب الذئب في صحرائهما المنقطعة، وأشار إلى سكن الغربان الكهوف. وقد استخدم: "الطير"، بدلاً من التصريح بالغربان، فقال:

وَلَا الطَّيْرُ فِي كَهْفٍ لَهُنَّ نَعِيقُ^(٤)

أما مصاحبة الغربان للذئاب، فهي لحرصها على الحصول على بقايا ما يتركه الذئب بعد مغادرته فريسته، ولاجتماعهما على ما يجدان في طريقهما. يقول حميد بن ثور، وفي الشرح: "إن الطير تتبعه لتصيب مما يقتل، وذلك؛ لأن الذئب يتبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجله فيشب عليه؛ لأنه من بين السباع ما لا يرغب في القتلى، ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه". وهذا مناقض لإجماعهم على افتراس الذئب القتلى، والمعنى إذن، أكل القتلى بدافع الجوع، أو لعل هذا هو الضبع.

(١) David Lambort, Birds (London: Warivick press, 1982) p. 67.

(٢) Mech, The Wolf pp. 287-288.

(٣) ابن منظور، اللسان، "سرح". السرحال: لغة في السرحان: أي الذئب.

(٤) العود، ديوان جران العود، ص ٥٣. الأعور العين: الغراب.

وفرق بين الاعتداء وهذه الحالة :

إذا ما غدا يوماً رأيت غيابةً من الطير ينظرُ الذي هو صانع^(١)
ووصف كعب بن زهير الغراب والذئب، ويبن تلك الصحبة الدائمة بينهما،

فقال :

وَحْمَشٌ بَصِيرُ الْمُقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا مَشَى مُسْتَكْرِهُ الرِّيحِ أَقْزَلُ^(٢)
يكاد يرى مالا ترى عينٌ واحد يُغير له ما غَيَّبَ الثُّرْبُ مِعُولُ^(٣)
إِذَا حَضَرَاني قَلْتُ لَوْ تَعْلَمَانِهِ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي مِنَ الزَّادِ مُرْمِلُ
غَرَابٌ وَذئبٌ يَنْظُرَانِ مَتَى أَرَى مُنَاخَ مَبِيتٍ أَوْ مَقِيلًا فَأُنْزِلُ
أَغَارًا عَلَى مَاخَيْلَتِ وَكَلَاهُمَا سَيُخْلِفُهُ مِنِّي الَّذِي كَانَ يَأْمُلُ^(٤)

وقال الطرماح، يذكر فلاة، مبيئاً كيف أن الذئب يطرد الغراب، فيصيح
الغراب مصفّقاً بجناحيه :

يَظْلُ غَرَابُهُمَا ضَرِمَا شَذَاهُ

شَجْجٌ بِمُخْصُومَةِ الذَّئْبِ الشَّنُونِ^(٥)

(١) الهلالي، ديوان حميد بن ثور، ص ١٠٦. الغيابة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة والغبرة والظلمة ونحوها.

(٢) حمش: دقيق الساقين. مستكره الريح: مستقبل الريح. الأقزل: كالأعرج، غير متساوي الرجلين.

(٣) ما لا ترى عين واحد: كناية عن حدة البصر. المعول: حديدة حادة دقيقة.

(٤) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ص ٥١-٥٢.

(٥) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ٢٠٣. شذاه: صوته. ضرم: كثير الصياح. شجج: حزين.

وهكذا، قال الآخر، مبيّناً هذا التلازم بين الذئب والغراب:

أخو الذئب يعوي والغراب ومن يكن

شريكيه يطمع نفسه شرّ مَطْمَع^(١)

أما الأخطل، فيقدّم صورة رائعة لهذا الاجتماع في قوله:

وأرقتني من بعد ما نمتُ نومةً وعضبٌ جَلَّتْ عنه القيون بطاني

تصاحبُ ضَيْقِي قفرة يَعْرِفانها غراب وذئب دائم العسلان

إذا حضرائي عند زادي لم أكن بخيلاً ولا صَبّاً إذا تركاني

إذا ابتدرا ما تَطْرَحُ الكَفُّ فاته به حبشي كَيْس اللّحْظان^(٢)

يُباعِدُه منه الجناح وتارة يُراوح بين الخطو والحجلان^(٣)

إذا غشيانني هيلت النفسُ منهنمتا قُشْعِريرةً وازدَدَتْ خَوْفَ جَنان^(٤)

ولقد قالت العرب:

تركت عَوْفاً في مغاني الأصرم^(٥)

(١) ابن الشجري، الأمالي، ج ١، ص ٣٠٩. وفي الحاشية: "جعل الذئب والغراب بمنزلة الواحد، فأعاد عليهما ضميراً مفرداً؛ لأنهما كثيراً ما يصطحبان في الوقوع على الجيف". والمعروف أن الذئب لا يأكل الجيف، بل "القتلى". ولعل هذا هو الضيع.

(٢) ابتدرا: استبقا. فاته: سبقه. اللّحظان: المراقبة.

(٣) الحجلان: مشي العقيد.

(٤) الأخطل، شعر الأخطل، ج ١، ص ٢٩٤-٢٩٥.

هيلت: فزعت. جنان: قلب. يقول: أنطير من الغراب، وأخاف من الذئب.

(٥) الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٤٧.

ويقال للذئب والغراب: الأصرمان.

يقول: تركته في منازل لا أُنس بها، ولا يسكنها إلا الذئب أو الغراب.

وقالوا:

"كالغراب والذئب.

الذئب إذا أغار على الغنم، تبعه الغراب، ليأكل ما فضل منه"^(١).

ويبين شدة تلازم الذئب والغراب، وما يبيّنه في نفس المسافر في مجاهل

الصحراء من خوف ووحشة قول أحدهم:

وإني امرؤ لا تقشعرُّ ذؤابتي من الذئب يعوي والغراب المحجل^(٢)

الطيور البرية الجارحة

النسور:

من الثابت علمياً أن النسور تجتمع مع الذئب على الفرائس، إلا أن الملاحظ

هو أن النسور لا تتقدم حتى تُفسح الذئب لها الطريق^(٣)، ولكن التراث العربي يذكر

أنها تجتمع مع الذئب في الصحراء، فالفرزدق يذكر أن النسور تزاحم الذئب على

الجثث المطروحة في تلك الأرض العطشى، فتلطم أعينها بأجنحتها، وتحتك بها، أما

الغراب كما رأينا، فكان يقترب على حذر، يقول:

تركنا عليها الذئب يلطم عيَّته نهاراً يزوراء الفلاة تُسورها^(٤)

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(٢) ابن منظور، اللسان، "حجل".

(٣) Harrington, Wolves of the World p. 184.

(٤) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ١، ص ٢٤٥.

وقال الراعي :

بَلَحْمَةٌ لَا يَسْتَقِرُّ غَرَابُهَا دَفِيفًا وَيُمْسِي الذئب فيها مع النسر^(١)
العقبان:

لدينا قصيدة قالها امرؤ القيس، تصور مطاردة عقاب لذئب، يقول فيها:
كَأَنَّهَا حِينَ فَاضَ الْمَاءُ وَاحْتَفَلَتْ صَقْعَاءُ لَاحَ لَهَا بِالسَّرْحَةِ الذَّيْبُ^(٢)
فَأَبْصَرَتْ شَخْصَهُ مِنْ رَأْسِ مَرْقَبَةٍ وَدُونَ مَوْقِعِهَا مِنْهُ شَنَاخِيبُ^(٣)
صَبَّتْ عَلَيْهِ وَمَا تَنْصَبُ مِنْ أُمَمٍ إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصُوبُ
كَالدَّلْوِ بَتَّتْ عُرَاهَا وَهِيَ مُثْقَلَةٌ وَخَائِهَا وَدَمٌ مِنْهَا وَتَرْكِيبُ^(٤)
وَيَلْمُهَا مِنْ هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةٌ وَلَا كَهَذَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبُ^(٥)

(١) الراعي، شعر الراعي، ١٧٨.

الملحمة: الحرب ذات القتل الشديد والوقعة العظيمة. الدفيف: أن يدف الطائر على وجه الأرض، يحرك جناحيه ورجلاه بالأرض وهو يطير، ثم يستقل.

(٢) احتفلت: معنى اجتهدت في العدو. الصقعاء: العقاب، وإنما سميت صقعاء لبياض في أعلى رأسها. السرحة: الشجرة الضخمة. فاض الماء: يريد العرق. ويقال: السرحة هاهنا: اسم موضع معروف.

(٣) مرقبة: موضع مشرف، يعني أن العقاب أبصرت خيال الذئب. الشناخيب: رؤوس في أعالي الجبال لا يعلو عليها إلا ما طار، والواحد شنخوب. الأمم: القرب أو القصد.

(٤) بتت: أي قطعت. الأودام: سيور تعلق بعري الدلو، والواحد ودم، والواحدة وذمة. التركيب: أن يشد خيط من قنب أو شعر مع الدلو إلى الرشاء — وهو الحبل ليكون عوناً واستظهاراً متى انقطعت عروة أو انحلت عقدة أمسكها فلا تقع في البئر، وإنما يفعل ذلك بالدلو الضخمة.

(٥) ويلمه: اللفظ به ذم، وهو في الظاهر عندهم مدح. الجو: جو السماء، وهو الفضاء. الهواء: ما مددت فيه بصرك من أعلى. الطالبة: العقاب. وقوله: ولا كذا: يريد الذئب، يقول: ولم أر كنجاته وهربه منها نجاء وهو مطلوب.

كالبرق والريح شدًا منهما عَجَبًا ما في اجتهاذٍ من الإسراع تَغْيِيبٌ^(١)
 فَأَدْرَكَتُهُ فَنَالَتُهُ مَخَالِبُهَا فأنسلَّ من تحتها والدَّفُّ مَنقُوبٌ^(٢)
 يَلُودُ بالصَّخَرِ منها بعدما فَتَرَتْ منها وَمِنْهُ على العَقَبِ الشَّايِبُ^(٣)
 ثُمَّ اسْتَغَاثَ بِدَحْلِ وَهْيَ تَعْفَرُهُ وباللِّسَانِ وبالشَّدَقَيْنِ تَتْرِبُ^(٤)
 ما أخطأته المنايا قيسَ أُنْمَلَةٍ ولا تحرَّزُ إلا وهو مكروبُ
 فَظَلَّ مُنْجَجِرًا منها يُرَاقِبُهَا وَيَرْقُبُ العَيْشَ إِنَّ العَيْشَ مَحْبُوبٌ^(٥)

وإذا كان الذئب عند امرئ القيس قد نجا من العقاب، فإن العقاب في تصوير
 النعمان بن بشير الأنصاري لا يدع للذئب فرصة للنجاة، يقول في صفة فرس:
 كأنها لِقُوَّةٌ شَغَوَاءُ خَائِتَةٌ وَلَّى لَيْسَبَقَهَا بِالْأَمْعَزِ الذَّيْبُ
 صُبَّتْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْصَبْ مِنْ كَثْبِ إن الشقاء على الأشقين مَصْبُوبٌ^(٦)

(١) تغيب يقول: ليست فيهما بقية من السرعة والعدو.

(٢) الدف: الجنب، والدَّفُّ والدَّفُّ: الذي يلعب به.

(٣) يلود: يلجأ ويظيف بالصخر، فترت: أي ضعفت عن العدو. العقب: جري بعد جري. الشايب، جمع الشؤبوب: وهو دفعة من مطر.

(٤) الدحل: هوة ومدخل في الأرض أو جبل. قوله: وهي تعفره: يعني تضرب به التراب، وهو العفر. الشدقان: مثني الشدق، وهو جانب الفم. تترِب: تفعيل، من التراب.

(٥) ابن حجر: ديوان امرئ القيس، ص ص ٢٢٧-٢٢٩. الشغواء: التي يختلف أعلى متقارها وأسفلها. الخائتة: التي تنقص فيسمع صوت انقضاضها. الأمعز: المكان الصلب من الأرض. منججراً: أراد داخلاً في جحر الذل. يراقبها: أي يحارسها وينظرها. ويرقب: ينتظر. وقارن هذه الأبيات بأبيات ذي الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ١، ص ص ١١٢٥-١٢٣٥.

(٦) أبو العلاء، أحمد بن عبدالله المعري، الفصول والغايات، تحقيق: محمود حسن زنتاني (بيروت: المكتب التجاري، ١٩٣٨م) ص ٤١٤.

وكذلك، فعل حاجب بن ذبيان المازني التميمي، الشاعر الأموي الذي لا يدع للذئب فرصة للنجاة، والذي يقول في صفة فرس أيضاً:

طوى الضمر منه البطن حتى كأنه عقاب تدلت من شَمَارِيخ كَبَكَب^(١)
تبادر جُنَح الليل فرخين أَقْوَا من الزَاد في قَفَرٍ من الأرض مُجْدِب^(٢)
فلما رأت صيداً تَدَلَّت كأنها دَلَاة تَهَاوَى مَرْقَباً بعد مَرْقَب^(٣)
فشكَّت سوادَ القلب من ذئب قفرة طویل القَرَا عاري العظام مُعَصَّب^(٤)
وقال الشماخ في وصفها:

تطارِد سيد صاراتِ ويوماً على خِزَان قارات الجموع^(٥)
وقال سؤر الذئب:

عُقَابٌ يَحْتُهَا عَسْبَار^(٦)

وقال ابن كُنَاسَة، يصف فرساً:

كَالعُقَابِ الطَّلُوبِ يَضْرِبُهَا الطُّ لُ وقد صَوَّيْتُ على عَسْبَار^(٧)

-
- (١) الضمر: الهزال. كبكب: جبل بعرفات. الشماريخ: رؤوس الجبال. الدلاة: الدلو.
(٢) جنح الليل: طائفة منه. أقوى: أقفر.
(٣) تهاوى: تتساقط. المرقب: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب. سواد القلب: حبه. القرا: الظهر. المعصب: الجائع.
(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٤، ص ٢٤٩.
(٥) الشماخ بن ضرار الذبيان، ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق: صلاح الدين الهادي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م) ص ٢٣١. السيد: الذئب. صارات: جمع صارة، يقصد جبل "صارة"، بالقصيم. خزان: جمع خزن: وهو ذكر الأرناب. قارات: جمع قارة، وهي الجبل والأكمة العظيمة. الجموع: موضع، بـ"الشريف".
(٦) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ١٨٢.
(٧) المصدر نفسه. صويت: انقضت.

وذكر المعري هذه الظاهرة، فقال:

"العقاب توصف بأنها ربما أخذت الذئب"^(١).

وتبين في ضوء هذه المعلومات أن العقاب، مهما بلغ حجمها وقوتها، فإنها لن تستطيع أخذ الذئب الذي ذكروا صفاته، وعرفوا أنواعه، ولا بد، إذن، أن يكون هذا الذئب، ذئباً صغيراً، قليل التجارب، أو أنه ذئب منهك، متعب، أضعفه الجوع أو المرض وأهزلاه؛ فهو في حجم الأرنب، أو الثعلب، أو أكبر منهما قليلاً، ولعل هذا واضح من وصف حاجب للذئب بأنه: "عاري العظام معصب". وربما دفع الجوع بهذه العقاب أو أمثالها، إلى محاولة مهاجمة حيوان أكبر حجماً.

يقول أبو نواس:

أَوْ لَقْوَةً أُمُّ أَتِيهِمِينَ فِي لُجْفٍ شَبِيهِتِهَا شَفَا خَطْمٍ وَأَمَاقَا
مُهَبَّلٍ دَيْئُهَا إِذَا قَلَبْتَ إِلَيْهِ مِنْ مُسْتَكْفٍ الْجَوْ حَمَلًا (٢)

ولقد جاء في قول صخر الغي أن صيدها الأساسي هو الأرانب، وأنها عندما حاولت صيد الغزال، عثرت، فانكسرت جناحها، وماتت:

وَلِلَّهِ فَتَخَاءُ الْجَنَاحِينَ لِقْوَةً تُوسِّدُ فَرْخَهَا لُحُومَ الْأَرَانِبِ (٣)

(١) المعري، الفصول والغايات، ص ٤١٤.

(٢) اللقوة: أنثى العقاب. الأتيهم: الإفراط في الشهوة إلى الطعام. اللجف: جمع لجاف، ما كان ناتئاً في الجبل، ومشرفاً على الغار. وانظر، كشاجم، المصايد والمطاردة، ص ٩٧. المستكف: المستوضح من أعلى. الحماق: باطن الجفن الأحمر والذي إذا قُلب للكحل، بدت حمرة.

(٣) الحسن بن هانئ أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق: بدر الدين حاضري محمد حمامي (بيروت: دار الشرق العربي، د-ت). مهبل: ذو اللحم المورم وجهه. المستكف: المستوضح من أعلى. الحماق: ما ولي المقلة من الجفن. الفتخاء: اللينة مفصل الجناح.

ثم يقول:

فَخَائَتْ غَزَالاً جَائِماً بَصُرَتْ بِهِ لَدَى سَلَمَاتٍ عِنْدَ أَدْمَاءَ سَارِبٍ ^(١)
فَمَرَّتْ عَلَى رَيْدٍ فَأَعْنَتْ بَعْضَهَا فَخَرَّتْ عَلَى الرَّجْلَيْنِ أَخْيَبَ خَائِبٍ ^(٢)
بِمَتْلَفَةٍ قَفَرٍ كَأَنَّ جَنَاحَهَا إِذَا نَهَضَتْ فِي الْجَوِّ مِخْرَاقَ لَاعِبٍ ^(٣)

ثم يقول:

وَقَدْ تُرِكَ الْفَرَخَانُ فِي جَوْفٍ وَكْرَهَا بِلِدَةٍ لَا مَوْلَى وَلَا عِنْدَ كَاسِبٍ ^(٤)
فَلَمْ يَرَهَا الْفَرَخَانُ بَعْدَ مَسَائِهَا وَلَمْ يَهْدَأْ فِي عُشِّهَا مِنْ تَجَاوِبٍ ^(٥)

أما نوع العقاب المفترض وجوده في الجزيرة العربية في ذلك الزمان، فهو المسمى بـ: "فيرو" Aquila Verrauxi، ويمتاز هذا النوع من العقبان بأنه: "عقاب جبال وصحارى نائية، ومن طيور شمال شرق أفريقية وجنوبها، لونه أسود كله، أما خوافيه وحلقه، وأعلى ذيله، فيبيض". أعلى المنقار، والأقدام، برتقالية اللون، طيرانه في الجو يخلق منظراً غاية في الروعة. يهوى المرتفعات. يعيش على صيد الأرناب، والوبر، وغيرهما. إنه طير يصيد متى أراد" ^(٦).

(١) خات: انقضت على غزال. جائم: رابض. أدماء: بيضاء، أي الظبية. سارب: سارحة تطلب المرعى.

(٢) الريد: نتوء في الجبل. أعنت بعضها: أصابه بعنت، أي كسر جناحها، فخرت.

(٣) متلفة: مهلكة. نهضت: طارت. مخراق لاعب: يشبه جناحها بألة اللعب "المخراق" من سرعة تقلبها في الجو.

(٤) بلدة لا مولى: أي ليس لهما مولى يقوم بأمرهما. ولا عند كاسب: أي: لا أحد يقوم بأمرهما.

(٥) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ١، ص ص ٢٥٠-٢٥٢. تجاوب: يجيب كل واحد منهما حاجته.

وانظر، صورة مطاردة العقاب للثعلب في مطوِّلة عبيد بن الأبرص؛ ديوان عبيد بن الأبرص،

تحقيق: شارلز لابل (لندن - مطبعة بريل، ١٩١٣م) ص ص ١٠-١١.

(٦) Leslie Brown, & Deen Amadon, Eagles, Hawks and Falcon of the world (England: Balding &

Mansoll, ist, ed., 1968) 69, 72 - 74, 149.

وانظر: صورة عقاب قبض بمخالبه على طفل:

Seidensticker, Dangerous Animals, pp. 24 - 25.

وينطبق هذا الوصف على العقاب: "الضَّرَار"، العظيمة، الكدراء، التي تضرب إلى التوشيم، أي: (ذات اللون)، وهي التي توصف بأنها: "عجزاء"، أي في ذنبها ريشة بيضاء أو ريشتان، وهي كذلك: "الشعراء"، أي: التي في جناحها قوادم بيض، وهي العَنَقَاء، والْفَتْخَاء، والقَنَوَاء، واللَّمُوع، والمَلَاع^(١). وقد كان هذا النوع موجوداً في فلسطين إلى وقت قريب^(٢).

الحشرات

تأكل الذئاب الحشرات إذا اضْطُرَّت إلى ذلك^(٣).

ومنها في الأدب العربي:

المهيشة (أم حبين)

قال أحد الشعراء:

أشكو إليك زماناً قد تفرقنا

كما تَعَرَّقَ رأسَ الهَيْشَةِ الذيب^(٤)

وهو بيت غريب، ذلك أنه جاء في تعريف الهيشة عدة أقوال منها:

"الهيشة: أم حبين، ولعلها دويبة العظاءة، حمراء تلزق بالأرض"^(٥).

وجاء في اللسان عن "الخرباء"، مما يلقي الضوء على "أم حبين":

"أم حبين: أنثى الخرباء، والخرباء: دويبة قذرة، على شكل ساء أبرص، ذات قوائم أربع، دقيقة الرأس، مخططة الظهر، تستقبل الشمس نهارها برأسها،

(١) الباشا، الصيد عند العرب، ص ١٣٣. وانظر: ص ١٣٢-١٤٢.

(٢) Brown, & Amadon Eagles..., p. 672 - 673.

(٣) Mech, The Wolf, p178. Gross, Mammals of the Arabian Gulf, p. 44.

(٤) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ٢، ٦٧٨.

(٥) المصدر نفسه.

وتكون معها كيفما دارت، وهي تنتصب على الحجارة، وعلى أجذال الشجر، فإذا زالت الشمس، زالت معها، مقابلاً لها^(١).

أما عن "أم حبين" في التاج:

"أم حبين: دوية على خلقة الحرباء، عريضة الصدر، عظيمة البطن، على قدر كف الإنسان، غبراء، لها قوائم أربع، وهي بقدر الضفدعة التي ليست بضخمة، فإذا طردها الصبيان، قالوا لها:

أُمَّ الحَيِّين انشـري برديـك
إنَّ الأمير ناظر إلـيك

فيطردونها، حتى يدركها الإعياء، فحينئذ تقف على رجلها منتصبه، وتشر جناحين أغبرين على مثل لونها؛ وإذا زادوا في طردها، نشرت أجنحة "كن" تحت ذينك الجناحين، لم ير أحسن لوناً منهن: ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، وهن طرائق، بعضها فوق بعض، كثيرة جداً، وهي في الرقة على قدر أجنحة الفراش، فإذا فعلت ذلك، تركوها^(٢).

وجاء القالي في أماليه بتعريف للورقاء، فقال تعليقا على قول الشاعر:

إنني رأيتك كالورقاء يُوحِشها

قُربُ الأليف وتغشاه إذا نُجِرا

"الورقاء:

دوية تنفر من الذئب وهو حي، وتغشاه إذا رأت به الدم"^(٣).

(١) ابن منظور، اللسان، "حرب". وانظر عن "أم حبين"، غالب، حيوانات لبنان البرية، ص ص ١٢١ -

١٢٢. أجذال الشجر: أصول الأشجار الباقية منها.

(٢) ابن منظور، اللسان، "حبن"، وانظر، الزبيدي، التاج، "حبن".

(٣) القالي، الأمالي، ج ١، ص ٦٩. ولكن البكري نقل

عنه في سمط اللالك، ج ١، ص ٢٤٢، أنه قال: "الورقاء: ذئبة تنفر من الذئب وهو حي، وتغشاه إذا رأت به الدم".

فهل هذه الورقاء، هي الهيشة، أم أم حبين؟
لأن المفروض أن يكون "الذئب"، في البيت الأول: "كما تعرق رأس -
الهيشة - الذئب"، مفعولاً به: "الذئب"، أو أن يكون مجروراً، والمفعول به "رأس"،
تفصله "الهيشة" بين المتضامين.

الجراد

لاشك أن كل نوع من الذئب يتكيف مع بيئته، فإذا كانت الذئاب الأوربية،
تأكل في حالات الجوع الشديد الديدان والقواقع والجعلان وسواها، ^(١) فإنه من
المعقول أن يأكل الذئب العربي الجراد، إذا كان متوافراً لديه، وأمكنه من الحصول
عليه، يقول أحدهم في ذلك:

غَدَا كَالْعَمَلْسِ فِي حَذْلِهِ
رُؤُوسُ الْعِظَارِيِّ كَالْعُنْجُدِ ^(٢)

الزواحف

الثعابين

ليست الثعابين مما يأكله الذئب رغبةً، وإنما تأكلها الذئاب جوعاً وحاجةً،
وتحديداً في الصيف، وفي التراث العربي ما يشير إلى هذا. يقول خلف الأحمر في أبيات
جاء في أحدها:

أبى الحاوون أن يطأوا جماء
ولا تَسْري بَعْقوتَه الذئابُ

(١) انظر: Mech, The Wolf, p. 178.

(٢) ابن منظور، اللسان، "عظر". العملس: الذئب. العظاري: ذكور الجراد. في حذله: حجرة إزاره.
العنجد: الزبيب.

وقد سُئل خلف عن ذلك ، فقال : "لأن الذئب تأكل الحيات"^(١).

ويقول موسى بن جابر الحنفي ، الشاعر الإسلامي :

طَرَدَ الْأَرَوَى فَمَا تَقْرِبُهُ

وَنَفَى الْحَيَاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ^(٢)

وقد فسر حيان بن عتبى هذا على أن الذئب تأكل الحيات^(٣).

وهذا ما تحقق منه الجاحظ بعد ذلك فقال ، تعليقا على تفسير حيان : "فظننت

أنه حدس ، ولم يقل بعلم"^(٤).

ولكن ابن قتيبة يقول ، تعليقا على قول خلف السابق : "لا نعلم أن أحدا قال ذلك"^(٥).

وها نحن نرى خلفا قال مثلما قال الحنفي ، ثم أثبتته حيان ، وجاء العلم ليقره^(٦).

الضباب

تأكل الذئب جميع الحيوانات التي تصادفها في طريقها ، كالأرانب ، والفئران^(٧) ، مثلا. وفي الصحراء توجد كذلك الضباب. وقد أخبرنا الطرماح أن الذئب يأكل الضب ، وهي معلومة لها قيمتها ، إذ تكشف عن وسائل تغذية الذئب العربي. والصورة التي رسمها تتفق كثيرا مع الصورة التي أخذت عن الذئب في الدراسات الحديثة ، حيث يراوغ الأرنب مثلاً في جحره ، فيترصده الذئب من فتحة الجحر الأخرى ، ويبدأ بإثارته حتى

(١) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٤ ، ص ٢٧٩ ، ابن قتيبة ، المعاني الكبير ، ج ٢ ، ٦٦٧. العقوة : الساحة وما حول النار.

(٢) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٤ ، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ابن قتيبة ، المعاني الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٦٧.

(٦) Mowat, Never Cry Wolf, in geat stories.. pp. 147, 179 . Mech, the wolf, p. 178.

(٧) يحيل : يقيم حولاً. الأحل : في رجله حلل ، وهو استرخاء في الرجل. ذوات المرادي : الضباب ؛

والمرادي : جمع مرداة. الرزح : المهازيل. مناق : سمان ، بها يُقَي ، وهو الشحم.

يتمكن منه. والطرماع يحكي هنا أن الذئب يطارد الضب بين الصخور، فكلما قلت منه من جهة ما، جاءه من الجهة الأخرى، حتى يقبض عليه، يقول:

يُحِيلُ بِهِ الذئبُ الْأَحْلُ وقوته ذواتُ الْمَرَادِي من مَنَاقٍ ورُزَحٍ
إذا استترت منه بكل كدايةٍ من الصخر وافاها لدى كل مسرح^(١)

وهذا يبين أن الذئاب تعتمد اعتماداً كبيراً في عيشها في الصحراء على موجوداتها، خاصة الضباب في فترات الربيع^(٢).

صيد البحر

السماك

وقد لوحظ أن الذئب يأكل الأسماك^(٣).

ترصد الذئاب صيادي السمك، فيلقون لها من الصيد شيئاً، وإلا قطعت المصايد حين تُبْسَطُ^(٤).

أجزاء الحيوان

الجلد

ونذكر هنا أن الجلود مما تأكله الذئاب.

يقول المعري:

كَأَنِّي إِذْ نَبَذْتُ لَهُ عِصَاماً
وَهَبْتُ لَهُ الْمِطْيَةَ وَالْمَزَادَا

(١) ابن حكيم، ديوان الطرماع، ص ١٠٠. الكداية: الصخرة. المسرح: الموضع الذي ترعى فيه.

(٢) انظر، Gross, Mammals of the Southern Gulf, p. 44.

(٣) Mech, The Wolf, p. 178.

(٤) المعري، سقط الزند، (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٤٥م) ج ٢، ص ٥٩٩.

والعصام: ما يُشدّ به فم المزاذة والقربة من شراك، أو خيط؛ وربما كان من جلد، والجلد مما يأكله الذئب^(١). وهذا يدل على مبلغ الجوع الشديد الذي كان يتعرض له الذئب في الصحراء العربية.

ويقول تأبط شراً: إنه طرح له نعلاً من الجلد، فكانت له كرشفة الخمر وقد برّدها ندى آخر الليل:

طرحتُ له نعلًا من السَّبْتِ طَلَّةٌ خلاف ندى من آخر الليل مُخْضِلٌ^(٢)

العظام

ومن الثابت أن الذئب يقضم العظام، ويأكلها^(٣).

والذئب يقضقض العظام^(٤).

قال خفاف بن ندبة:

فَتُورِدُنِي لِرُبْعٍ أَوْ لِخَمْسٍ مِاءَ الْقَيْظِ طَامِيَةً جِمَامًا^(٥)
قَلِيلًا مَنْ عَلَيْهَا غَيْرَ أَنِي أَثُورُ مِنْ مَدَارِجِهَا الْحَمَامَا^(٦)
ذُعَرْتُ الذَّئْبَ يَحْفَرُ كُلُّ حَوْضٍ وَيَقْضَمُ فِي مَعَاظِنِهَا الْعِظَامَا^(٧)

(١) المعري، سقط الزند، ج ٢، ص ص ٥٩٦-٦٠٠.

(٢) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً، السبت: الجلد المذبوغ. الطلة: الشربة: خلاف ندى: بعد نزول الندى.

مخضل: مبتل.

(٣) Mech, The Wolf, p. 194.

(٤) ابن منظور، اللسان، "قضض".

(٥) لربع أو خمس: أي لأربع ليال أو خمس. جمام: ماء جم كثير.

(٦) أثور: أنهض. المدارج: الثنايا الغلاظ بين الجبال.

(٧) خفاف بن ندبة، شعر خفاف بن ندبة، جمع وتحقيق: نوري حمودي القيسي (بغداد: مطبعة دار المعارف،

١٩٦٧م) ص ص ٩٥-٩٦. ذعرت: أفرعت وأخفت. يقضم: يكسر. المعاطن: مبارك الإبل.

وسبق أن مرّ بنا قول أحدهم :
 ياربُّ ذئب باسل مقدام
 ويعده :
 قد ضافني في الليل ذي التمام
 ثم قال :
 يقرش ما ألقى من العظام

الطبيعة

الصحراء

ترينا الأشعار الآتية أن الذئب ارتبط بالقفر والتوحش في أشعار العرب ، وفيها وصف الصحراء المخيفة التي انقطع الناس عن ارتيادها ، فليس يُسمع بها إلا أصوات البوم ، وهي كناية عن الهلاك والموت ، كما وضح ذلك المرقش ، فقال :
 وتسمع تزقأ من البوم حولنا كما ضربت بعد الهدوء النواقيس^(١)
 ثم إنه لولا أن الذي يقطعها قد اعتادها ، وخبر معالمها ، لما توقى النجاة ، يقول المرقش أيضاً :

وأعرض أعلام كأن رؤوسها رؤوس (رجال) في خليج تغامس^(٢)
 إذا علم خلقته يهتدى به بدا علم في الآل أغير طامس^(٣)

(١) التزقأ: الصياح .

(٢) الأعلام : الجبال. الخليج : ههنا الخليج من السراب ، شبهه بالماء. تغامس : تطفو تارة وتغرق تارة أخرى. في الأصل : "رؤوس جبال". وهذا لا يستقيم.

(٣) الأنباري ، شرح ديوان المفضليات ، ص ٤٦٥-٤٦٦ ، الآل : السراب ، طامس : خفي^(٣) .

وفي أبيات غيلان بن سلمة صورة واضحة على عزلة الذئب، وتوحشه، وانقطاعه في الصحراء، وهذه الصحراء شديدة الفقر، جرداء، مهلكة، يقول:

بَتَنُوفَةٍ جَرْدَاءٍ يَجْزَعُهَا لَحِبٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلٌ^(١)

ويقول عبید الله بن ربیع، واصفاً الصحراء القفر بأنها: "بيضاء إمليس"، لشدة فقرها:

وبِیضاءِ إملیس إذا بُتُّ لیلَةٌ بها زارني عاري الذراعين مارد^(٢)

وقد أضاف كعب بن زهير إلى سابقه صفة: "صرماء"، أي: تصرم كل شيء، أي: أنها خلت من أي شيء يبعث الحياة، كما أنها تثير في النفس تلك المخاوف المتعلقة بوجود الجان، فيتخيلها السالك أناساً يتحدثون، وهذا تصوير بالغ الدقة لجفاف الصحراء وبعدها، يقول:

وصرماءٌ مذكاري كأنَّ دَوِيَّهَا بُعِيدَ جَنَانِ اللَّيْلِ مِمَّا يُخَيَّلُ^(٣)

حديث أناسي فلمَّا سَمِعْتُهُ إذا ليس فيها ما أَيْنُ فَأَعْقِلُ^(٤)

ويبين الطرماح مخاطر الصحراء التي يعيش فيها الذئب، فيقول:

فَعَرَسْتُ لَمَّا اسْتَسَلَمْتُ بَعْدَ شَأْوِهِ تَنَائِفُ مَا نَجَا يَهْنُ هَجُوعُ^(٥)

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٢٧٨. يجزعها: يقطعها.

(٢) الحموي، معجم البلدان، "بتيلة".

(٣) الصرماء: الأرض التي لا نبت فيها ولا ماء. المذكر: المخوفة ذات الهول، والتي لا يسلكها إلا الذئب من الرجال. جنان: ظلمة. الدوي: الصوت، أي عزف الجن بها وتخيلهم.

(٤) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ص ٤٥-٤٦.

(٥) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ١٨٩.

عرست: نزلت ليلاً. الشأو: الشوط والطلق. الهجوع: الرجل الغافل الأحمق.

ولعل أجمل وأكثر المقطوعات تأثيراً في النفوس في بيان معاناة الذئب في صحرائه العربية القاحلة، أبيات ذي الرمة التي بين فيها خلو هذه الأرض من أي سبب للحياة، مما أدى بالإبل إلى الهلاك، فقال:

إذا ما حشوناهنَّ جَوَزَ تنوفةٍ سَبَاريتَ يَنْزُو بالقلوبِ اهْوَلاها^(١)
رَهَاءِ بَسَاطِ الظُّهْرَسِيٍّ مخوفةٍ على رُكْبِهَا أَقْلَئُهَا وَضَلَّالِها^(٢)
تعاوى لحسراها الذئاب^(٣)

ولكن الشنفرى الأزدي يعطينا صورة تجمع بين الصحراء والجبال. وهذا يعني أن الذئاب التي صوّرها الشنفرى تعيش على حافة الصحراء المحاذية للجبال، ولعل هذا الشيء يمكن تصوّره في قصيدة الشنفرى؛ لأن الأزدي قبيلة يمانية، وتعيش في المرتفعات الجبلية، فهو يقول، كما رأينا سابقاً:

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزلُّ تهاواه التناثف أطحل
فهذا الذئب جاء من التناثف، أي: الصحراء الرملية، الأطراف الرملية للحجاز، عرق سبيع، ثم انتقل إلى الجبال، كما في قوله:

غدا طاوياً يعارض الريح حافياً يخوت بأذنان الشُعَابِ وَيَعْسِلُ
وعلى الرغم من ذلك، فإن أبيات الشنفرى تدل على أن مساكن الذئاب هي الصحارى، حيث إن ذئبه رجع أدراجه بعد إخفاقه في الحصول على الطعام في الجبال، فقال:

فلما لواء القوت من حيث أمّه دعا فأجابته نظائر نُحْلُ

(١) حشوناهن: أي الإبل أدخلناهن فيها. جوز: وسط. تنوفة: قفر. السباريت: جمع سبروت، وهي الأرض لا شيء فيها.

(٢) الرهاء: ما استوى واملاص من الأرض. البساط: الأرض المستوية. السي: الأرض المستوية. الأقلات: الهلاك.

(٣) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ١، ص ٥١٦-٥١٧.

وهذا المشهد قريب من المشهد الذي رسمه أبو كبير الهذلي، إذ يبدو أن الماء الذي ترده الذئاب، كان على مرتفع جبلي؛ لأنه قال:

زَقَبٌ يَظَلُّ الذَّئْبُ يَتَّبَعُ ظِلَّهُ مِنْ ضَيْقٍ مَوْرِدِهِ اسْتِنَانُ الْأَخْلَفِ^(١)

ويدل هذا على أن خبرة الذئاب بمكامن المياه في الصحراء أشد من خبرتها في المناطق الجبلية، وأن ملجأها دوماً هو الصحراء، لا الجبال.

والذئاب تأتي إليه بسرعة على ما يبدو من الصحراء؛ لأنه قال:

يَنْسِلُنْ فِي طُرُقِ سَبَاسِبَ حَوْلِهِ كَقِدَاحِ نَبْلٍ مُحَبَّرٍ لَمْ تُرْصَفِ^(٢)

ولكن أبا كبير الهذلي يذكر أنه عثر على ذئبة فوق إحدى القمم الشاهقة^(٣)، وهذا يعني أن الذئاب التي كانت ترد الأطراف الجبلية المتاخمة لمنطقة هذيل، وذلك إذا وضعنا هذه الصورة بجوار الصورتين الأخريين: الصورة التي عند الشنفرى والصورة السابقة عنده.

ويذكر الرجل من اليمن الذي أكل الذئب أمه، أن الذئب كان ببعض المذانب^(٤)، أي: أنه كان في منطقة جبلية، ربما كانت قريبة من الصحراء الشرقية المتاخمة لوادي الجوف باليمن.

وإن نظرة إلى خريطة انتشار الذئاب في الجزيرة العربية^(٥) لتؤيد هذا، فمنطقة

(١) الزقب: الطريق الضيق. الاستنان: العدو على جهة واحدة. الأخلف: الأعسر، المخالف المعوج.

(٢) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ٣، ص ١٠٨٥-١٠٨٦. السباسب: جمع سبب، وهو المستوي البعيد. القداح: سهام الميسر. المحبر: المتأثق. لم ترصف: لم تُشدَّ عليه الرِّصاف، وهي عقبة تُشدَّ على مدخل الخديدة التي تدخل في رأس السهم.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٧٦-١٠٧٧.

(٤) البكري، سمط اللائى، ج ١، ص ٣٧٨.

(٥) انظر، Kingdon, Arabian Mammals, p.76.

الذئاب تتركز في الصحراء، وبخاصة تلك التي تنبت الغضا، أو التي يتجمع فيها الرمل، ولذا قالوا: ذئب الغضا.

وقالوا: ذئب القيصومة أو القصيم.

أي: الرمال المتجمعة (وإن كان المقصود هنا أرض القصيم من نواحي بريدة وعنيزة...).

وإجمالاً يمكن ملاحظة أن أشهر مناطق الذئاب هي منطقة شمال شرق القصيم حتى الحفر، إضافة إلى منطقة "الغضا" و"القصيم" تلك. يقول ياقوت:

"إثبيت: فيها ذئاب تأكل الناس".

"فرع القبة، وفرع الحفر: بلدان لتميم، بين الشقين وأود وخُفاف: وفيها ذئاب تأكل الناس".

وفي منطقة غرب اليمامة ذكروا: "قرآن".

واشتهرت بعض المواضع باسم "الذئب"، وكانت بعض الدارات تحمل اسم: "دارة الذئب"، أو "دارة الذؤيب"^(١).

وقال آخر، يذكر "قارات الحبل"، بشهرة ذئابها، وهي من نواحي شمال شرق الرياض:

ما أبالي ألتيم سبني أم عوى الذئب بقارات الحبل^(٢)

وهناك الهدار في منطقة الأفلاج، في قول شبوح:

أتذكر عمراناً وتَنسى عصابة بفوهة الهدار شبعان ذبيها^(٣)

(١) انظر: الحموي، معجم البلدان، "إثبيت"؛ "الفرع"؛ "قبة"؛ "دارة الذئب"؛ "دار الذؤيب"؛ "قرآن"... إلخ.

(٢) المصدر نفسه، "قارات".

(٣) حمد الجاسر، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع (الرياض: دار اليمامة، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص ٣٨٦.

وفي جهات عفيف، هناك "الأخربان"، قال الصمة بن عبدالله القشيري:
ويوما بقاع الأخربين جرى لنا بنحسٍ ظباءُ الأخربين وذيبها^(١)
ومن المناطق الحجازية المذكورة فيها الذئاب، "بشم"، في نواحي عسفان، كما
في قول أبي المؤرق الهذلي:
وكنْتُ إذا سلكتُ نِجادَ بَشم رأيت على مراقبها الذئابا^(٢)
وحتى في العراق، هناك، "وادي السباع"، كما قال السفاح بن بكير:
يَعْدُو وَلَا تَكْذِبُ شِدَاثُهُ كَمَا عَدَا الذَّئْبُ بِوَادِي السَّبَاعِ^(٣)
الأعشاب والأشجار

تحاول الذئاب ألا تكون مكشوفة للناس، فهي في أوروبا وأمريكا تعيش في
الغابات، وفي أفريقيا والهند تكمن في الأدغال والأعشاب الطويلة. والذئاب العربية ليست
بدعاً في ذلك، فهي على الرغم من الطبيعة الصحراوية للجزيرة العربية، وعلى الرغم من
أنها لا تستطيع الاقتراب من المناطق الزراعية، إذ لابد لها أن تكون بعيدة عنها، أي: في
الصحراء، خشية قتل الناس لها والفتك بها، فإنها لابد أيضاً أن تكون آمنة، أي: لابد أن
تبحث عن أماكن تسترها. ومن هنا وجدناها غير بعيدة عن المنطقة الرعوية التي كانت أبقار
لبيد يرعين فيها، أي: يتوفر فيها العشب، ولكنها مناطق رملية كما وصف ذلك
بـ"الشقائق"، أي: الأرض الغليظة بين رملتين. ولعلها كانت في هذه الأرض الغليظة قد
حفرت جحورها. وقد صرح ابن مقبل بأن المنطقة رملية، فقال:
أو نعمة من إراخ الرمل أخذلها عن إلفها واضح الخدين مكحول^(٤)

(١) الصمة بن عبدالله القشيري، ديوان الصمة بن عبدالله القشيري، جمع وتحقيق: عبدالعزيز محمد
الفيصل (الرياض: النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ٣٣.

(٢) الحموي، معجم البلدان، "بشم". نجاد: مرتفعات.

(٣) المصدر نفسه، "وادي السباع".

(٤) النعجة: البقرة الوحشية. الإراخ: الإناث الفتيات من بقر الوحش. أخذلها: خلفها.

ثم قوله :

بَشُقَّةٍ مِنْ نَقَا الْعَزَافِ يَسْكُنُهَا جِنَّ الصَّرِيمَةِ وَالْعَيْنِ الْمُطَافِيلِ^(١)

ويتكرر هذا الموضع في شعر ابن أحمر، على أنه موضع تكثر فيه الأبقار،

حيث يقول :

كَأَنَّهُا بَنَقَا الْعَزَافِ طَاوِيَةٌ لَمَّا انطوى بطنها واخروط السفر^(٢)

كما أنها تعيش بين الحمائل، لأن بقرة لبيد عندما أدركت واقع أمرها، ذهبت حزينة تحت الحمائل، والحمائل في الصحراء، كما هو واضح، ولأمر ما اكتفى لبيد بمهاجمة الذئب للعجل، ولم يجعلها تفترس الأم ليلاً بعد ذلك.

وتصادفنا عند الأعشى لفظة: "الغيل"، وهو الشجر الملتف، وهو هنا شجر الأراك، الذي وصفه بالخضرة وتدفق الماء في أغصانه، والظبية ترعى فيه، يقول، كما مضى ذكره:

فِي أَرَاكِ مَرْدٍ يَكَادِ إِذَا مَا ذُرَّتِ الشَّمْسُ سَاعَةً يُهْرَاقُ^(٣)

وهذا الوصف الذي يجعل الشمس، إذا ما أشرقت، تُجَفِّفُ ما فيه من ماء، يدل على كثرة هذا الشجر في هذه المنطقة، وربما إلى جانب أشجار أخرى، وذلك لأن الأرض نفسها ريّانة.

ولم يحدد الأعشى نوع الأشجار في قصيدته العينية، ولكنه لابد أن يكون

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٤. النقا: القطعة من الرمل تنقاد محدودة. العزاف: حبل من حبال الدهناء. الطاوية: البقرة الوحشية الضامرة. انطوى بطنها: أذهب السير شحمها وأذابه. اخروط: امتد وبعد. الشقة: الغلظ بين رملتين. الصريمة: الرملة المنفردة، انصرفت عن غيرها، أي انقطعت. العين: جمع عيناء، وهي الواسعة العين مع حسن الخدقة، يعني البقر الوحشي. المطافيل: ذات الأولاد.

(٢) الباهلي، شعرو بن أحمر، ص ٩٧.

(٣) الأعشى، ديوان الأعشى، ص ٢٥٩. المرء: ثمر الأراك الأخضر، ذرت: طلعت. يهراق: يضمحل.

شجراً مرتفعاً، لأنه وصفه بأن له ظلاً:

فَظَلْ يَخْدَعُهَا عَنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فِي أَرْضٍ فِيءٍ بِفَعْلٍ مِثْلُهُ خَدَعَا^(١)

وقد ذكر النابغة الجعدي موضع: "ذي الذئبين"^(٢)، ويبدو من واقع القصة، ومن اقتترانه باسم الذئب على صيغة المثني، أنه موضع تكثر فيه الذئاب، كما يبدو من جعلهم منامَ البقر تحت الشجر الكثيف، وغالباً ما يكون من شجر الأروطى، أن هذا الموضع كثير الأشجار. كما ذكر: "ذي الحوم"، ولعله أيضاً سُمي بذلك لوجود الشجر فيه، وإن كان بلداً. وفي أبيات كعب ما يشير إلى أن الذئب عنده يعيش بين الشجر الكثير الملتف، حيث يقول:

بَصِيرٌ بِأَدْغَالِ الضَّرَاءِ إِذَا خَدَا يَعِيلٌ وَيَخْفَى بِالْجَهَادِ وَيَمِثُلُ^(٣)

وتحب الذئاب أن تقترب من الحشائش، فتمضغها ومنها: الأسروع، وهو: "طول الشبر، أطول ما يكون، وهو مزين بأحسن الزينة من صفرة وخضرة وكل لون، لا تراه إلا في العَسَب، وله قوائم صغار، ويأكلها الكلاب، والذئاب، والطيور، وإذا كبرت، أفسدت البقل، فجُلِدَعَتْ أطرافه"^(٤). وهو الذي ذكره ذو الرمة، مما يدل على أنه ينبت في الرمل، وهو مرتاد الذئاب، يقول:

وحتى سرت بعد الكرى في لَوِيَّهِ أَسَارِيعَ مَعْرُوفٍ وَحَمَرَتِ جَنَادِبُهُ^(٥)

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٢) الجعدي، شعر النابغة الجعدي، ص ١٩٥-١٩٦. في: ظل.

(٣) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٤٩. الأدغال: جمع دَغَل وهو ما وارك من الشجر. الضراء: ما وارك من شجر وغيره. يعيل: يضرب في الأرض ويذهب ويدور. الجهاد: الأرض الغليظة لا نبات بها.

(٤) الزبيدي، التاج، "سرع".

(٥) المصدر نفسه. اللوي: ما ذبل من البقل.

إلا أن ابن فضل الله العمري يقول:

"والذئب من بين الحيوان لا يأكل ... العشب إلا عند مرضه، كما تفعل الكلاب، فإنها إذا اعتلت، أكلت عشباً من الأعشاب"^(١).

ويذكر البستاني: "إذا لم يجد يأكل الثمار المتهرثة وأصول النباتات والخشب المنحلة أجزاؤه"^(٢).

وتؤكد بعض الدراسات الحديثة أن الذئب تأكل بعض الثمار، ومن المصادفة أن نجد أحد الذئاب يعترف بإفساد النخل صيفاً، وقت جني الرطب، يقول:

والتَّخْلُ أفسده مادام ذا رُطْبٍ وإن شتوت ففي شاء الأعراب^(٣)

أما كيف يكون ذلك؟ فلعله تفسير للقصة المصاحبة لصيد ذلك الذئب الذي عاث فساداً في "قران" و"كنزة"، من قرى اليمامة، فيهما نخل كثير، يقول:

إن كنتَ من أهل قرآن فعَدُّ لهم أو أهل كنزة فاذهب غير مطلوب

وفيما عدا هذا، فإن ملاحظات العرب لا تتفق مع الملاحظات العلمية في أن الذئب لا يحوم حول شيء من البقول والنبات^(٤).

أو: الذئب لا يأكل إلا اللحم^(٥).

لأن الذئب تأكل النباتات الخشنة Wild Fruit, wild obst، وثمار الحقول، وهي تقضم الأعشاب، وإن كان يعسر عليها هضم النباتات الخلوية، وتأكل بعض الفواكه^(٦).

(١) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص ٥٩.

(٢) البستاني، دائرة المعارف، ص ٤٣٥.

(٣) القزويني، آثار البلاد، ١٠٦.

(٤) أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، الثعالبي، ثمار القلوب في المضائق والمنسوبة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) ص ٣٨٨.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ١٤٦/٧.

(٦) Gross, Mammals of Southern Gulf, p.44. Michael Boora, Mammals of the World (London: Hamlyn, 1970) p.174.

أما أن الذئب يأكل البَلَح ، فيؤيده قول الأحيمر السعدي :
"كنت أرى النوى في رجيع الذئب"^(١) .

الماء

لقد أدى ابتعاد الذئب عن الناس وسكنائه في الخلاء إلى معرفته بموارد الماء ، وهي موارد لا يستدل إليها إلا عالم بمتاهات الصحراء . ولذلك ذكروا لون الماء ، ورائحته ، للتأكيد على قدمه وعدم استعماله ، وفي أبيات امرئ القيس توضيح جلي لذلك ، بالإضافة إلى قوله : "قليل به الأصوات" ، يقول :
وماء كلون البول قد عاد أجنا قليل به الأصوات في كالأ محل^(٢)
ويقول تأبط شراً :

نسقي قلائصنا بماء آجن وإذا يقوم به الخليع (يعيل)^(٣)

ولابد أن نشير إلى أن الذئاب تجعل من مناطق حمايتها ينابيع الماء ، وهذا يعني أن الذئاب تتخذ من الصحراء مناطق حماية لها ، بحيث لا تبتعد كثيراً عن الماء^(٤) . وهذا واضح في قول ابن مقبل ، مينا سكنى الذئاب في الصحراء ، ولكنه

(١) أبو عمر ، أحمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق : أحمد أمين وآخرين (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، ٢٣٨/٦ .

(٢) ابن حجر ، ديوان امرئ القيس ، ص ٣٦٣-٣٦٤ . كلون البول : في صفته وتغيره . الآجن : المتغير الطعم . محل : مجذب .

(٣) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٠٨ . ورواية البيت في ديوانه ، ص ١٨٢ :
وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيل
والمهم هنا نوع الماء .

(٤) انظر : . 120,151 pp. Mech, The Wolf of Arabia, p. 49 , Harrison, Mammals of the Arabian Gulf, أما ابن آوى ،

Kingdon, Mammals of Arabia, p. 76 ، انظر ، فيمكن أن يحيا دون ماء فترة طويلة . انظر ،

يعرف مواضع الماء فيها:

يَطْوِي الْمَفَاوِزَ غَيْطَانًا وَمَنْهَلَهُ مِنْ قُلَّةِ الْحَزْنِ أَحْوَاضٌ عَدَامِيلٌ^(١)

ولكن يجب التنبيه إلى أن من الذئاب، على الرغم من حرصها على أن يكون الماء من ضمن محمياتها، أنها لا تشرب كثيراً، بل تكتفي بقدر قليل منه، وذلك واضح من وصف ابن مقبل لمواقع المياه بأنها: "قُلَّةُ الْحَزْنِ"، والحزن: مكان غليظ خشن مرتفع، قلما يحتفظ بالماء، وما يحتفظ به هو أحواض قديمة، وهذا يوضح التعبير المتكرر: "ماء آجن"، ويوضح قلة شربه للماء قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ عَلَيْكَ الْحَوْضَ إِنِّي تَرَكْتَهُ وَفِي صَفْوِهِ فَضْلُ الْقُلُوصِ مِنَ السَّجْلِ^(٢)
فَطَرَّبَ يَسْتَعْوِي ذَنَابًا كَثِيرَةً

فهو يشرب من هذا الماء الذي هو عبارة عن بقية مما شربت منه ناقته، ولكنه سيكتفي بما يسد الرَّمَقَ، وستأتي ذئاب أخرى لتشرب منه.
وقال تأبط شراً:

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعْتَهُ بِهِ الذَّئِبُ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمَعِيلِ
طَرَحْتُ لَهُ نَعْلًا مِنَ السَّبْتِ طَلَّةً خِلَافَ نَدَىٍّ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُحْضِلٌ^(٤)
فما شربه إلا بقدر ما تحتويه تلك النعل مما أصابها من بلل الندى. وفي هذا

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٧. المفاوز: الفلاة المهلكة. الغيطان: جمع غائط، وهو ما اطمأن من الأرض. منهل: مشربه. القلة: الأعلى. الحزن: المكان الغليظ الخشن. العداميل: القديمة.

(٢) المصدر نفسه. الصفو: بقية الماء. السجل: الدلو العظيمة.

(٣) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ٣٦٣.

(٤) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً، ص ١٨٥. السبت: الجلد المدبوغ. الطلة: الشربة. خلاف ندى: بعد نزول

الندى. محضل: مبتل.

حجم ما يقاسيه الذئب في واد جفّ ماؤه كل الجفاف ، على الرغم من سعته .
وهذا واضح أيضا في وصف كعب بن زهير للصحراء بأنها لا ماء ولا شجر
فيها : " صرماء مذكّار " ^(١) ، مما يدل على أن الذئب ، وإن تكن منابع الماء من أحماؤه ،
إلا أنه قد يحتمل العطش الشديد مؤقتا ؛ لأن الذئب إنما تشرب الماء كثيرا ، لو توافر لها
الغذاء ، كما هو الحال في غير الجزيرة ^(٢) .

ومن العجيب أن نجد ذئبا ضلّ الطريق عن الماء ، ولعل الشاعر الذي التقى
بالذئب في الفلاة ، فوجده يكاد يشفي على الهلاك ، لم يكن عطشان ، كما أنطقه هو ،
وإنما كان جائعا ، وهي الحالة التي يتعرض لها الذئب دائما . ويدل على ذلك أنه حتى
بعد ما شرب من الماء ، ظل منطرحا حتى وصّفه باللجام المرمى :

وَهُوَ مُلْقَى كَأَنَّهُ لِبِجَامٍ جَوَادٍ قَدْ تَحَنَّتْ مَكَاسِرُهُ

فلما رمى له ببقية زاده ، نشط ، وراح يحرق وعاء الزاد ليأكل ما فيه :

فعهدي به قد جاوز الماء صادرا يَجُرُّ جِرَابِي تَارَةً وَيَنَاقِرُهُ ^(٣)

ويبالغ الكميّ في وصف الذئب الذي لقيه ، فيجعله ضريرا من شدة إعيائه ،
وأنه استقى قدرا قليلا من الماء سدّ به رمقه ، وقليلا من الزاد سدّ به جوعه ، فقال :
وَصُبُّ لَه شَوْلٌ مِّنَ الْمَاءِ غَابِرٍ بِهِ كَفَّ عَنْهُ الْحَيَّةُ الْمُتَحَوِّبُ ^(٤)

وتكاد تكتمل صورة الماء عند ذي الرمة الذي يؤكد أن الماء جزء من حمى
الذئب ، والماء كما هو بين ، ماء آجن ذو رائحة كريهة لقدمه ، وإذا كان ابن مقبل قد

(١) ابن زهير ، ديوان كعب بن زهير ، ص ٤٥ .

(٢) Candace Savage, Wolves (London: Robert Hale Ltd., 1988) p. 139.

(٣) ابن قتيبة ، المعاني الكبير ، ج ١ ، ص ص ٢٠٦-٢٠٧ . الجراب : الوعاء .

(٤) الأسدي ، شعر الكميّ ، ج ١ ، ص ٨٦ . الغابر : البقية الباقية . الشول : بقية الماء في السقاء أو الدلو ،

أو القرية أو المزادة . الحية : الإثم . المتحوب : الآثم .

جعل الماء فوق "حَزَن"، أي: مرتفع من الأرض لقلته، فإن ذا الرمة أيضاً يجعله قليلاً، ولكنه في منخفض من الأرض، ودليل قلته أنه قريب من السطح جداً، أي: هو عبارة عن حوض من الماء، فالمستسقي منه يستطيع أن يمد يده، فيغرف منه شيئاً ما، يقول: ومن جَوْفِ ماءٍ عَرْمَضُ الحَوْلِ فوقه متى يَحْسُ منه مائِحُ القومِ يَتَّقُلُ به الذئبُ.....

وقوله مبيّناً صفة ذلك الماء في الصحراء الذي لا يهتدي إليه إلا ذو الخبرة والدلالة، مكنياً عن ذلك بالقطا التي ترتاده، وهذا أيضاً يدل على قلته، بالإضافة إلى قوله: "أسارت"، أي: شربت سؤراً من الماء، أي قليلاً، يقول:

صَدْرَنَ بِمَا أَسَارَتِ مِنْ ماءِ آجِنٍ صَرَى لَيْسَ مِنْ أَعْطَانِهِ غَيْرُ حَائِلٍ
سوى ما أصاب الذئب منه وسُرْبَةً أطافت به من أمّهات الجَوَازِلِ^(١)

وتبيّن الدقة في ملاحظة حياة الذئب من معرفتهم بأن الذئب، الذي اشتهر بجوعه ونهمه، يدرك بشكل غريزي، أن عليه أن يقاوم الجوع إذا ما عثر على غذاء بعيد عن مورد الماء الذي يشرب منه، ولذلك قال بعضهم:

فِي بَلَدَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ سَيِّدُهَا

حَسَرَى الْأَرَاكِيبَ وَلَا يَهْدِيهَا

"يقول: إن الذئب في هذه البلدة لا يمس الحسرى، ولا يقربها؛ لأن الماء بعيد

(١) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ٣، ص ١٤٨٧-١٤٨٩. الجوف: المطمئن من الأرض. العرمض: الخضرة على رأس الماء، وعرمض الحول: أتى عليه الحول. المائح: الذي يغرف بيده. يتقل: ييصق من ملوحته.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٤٥-١٣٤٦. صدرن: ذهبن. أسارت: أبقت. صرى: قد طال حبسه. أعطانه: جمع عطن، وهو الموضع الذي يترك البعير فيه إذا شرب. سرية: جماعة. الجوازِل: الفراع.

عنها، فهو يخاف إن أكل، أن يعطش^(١).

وتبرهن لنا هذه الملاحظة أن الماء جد ضروري للذئب صيفاً، وتقل رغبته في الماء شتاءً^(٢)، فالماء لا غنى عنه له بعد تناوله وجبة طعام مليئة، فهو يشرب الماء بعدها كثيراً^(٣).

ومما هو جدير ذكره في العلاقة بالماء أن السيول الجارفة كثيراً ما تضرّ بالذئاب، قال خفاف بن ندبة:

لَه حَدَبٌ يَسْتَخْرِجُ الذَّئْبَ كَارِهًا يُمَرُّ غُثَاءً تَحْتَ غَارٍ مُطْلَقٍ^(٤)

وفي ضوء المفهوم الخاص لـ "السباع"، بحيث تعني بشكل عام: الذئاب، وفي إطار هذه الصورة النمطية، فإن امرأ القيس يعني بـ "السباع": الذئاب، في قوله:

كَأَن سَبَاعاً فِيهِ غَرَقَى عَشِيَةً بِأَرْجَائِهِ الْقُصُوى أَنَابِيشُ عُنْصُلٍ^(٥)

وعلينا أن ننتبه إلى تضارب المعلومات في هذا الشأن، إذ ربما كان هناك سوء تقدير لحاجة الذئب إلى الماء، واضطراب بين النوعين: الذئاب وبنات آوى:

Jackals (Canis auereus Syriacus)

تختلف بنات آوى عن الذئاب، فبنات آوى في الغالب تعيش في المناطق المكتظة بالسكان، حتى إنها لا تكون في العادة بعيدة عنها بأكثر من كيلو مترين.

أما الذئاب، فتعيش في الصحارى، ولذلك فبنات آوى نادراً ما توجد فيها إلا

(١) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ١٩٠.

(٢) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ١، ص ١٩١.

(٣) Savage, Wolves, p. 139.

(٤) ابن ندبة، شعر خفاف ابن ندبة، ص ٣٨.

(٥) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ٢٦.

إذا توافرت المياه. ويعود ذلك فيما يُعتقد إلى حاجتها إلى الماء، وربما عاد ذلك إلى سهولة الحصول على الغذاء، أما الذئاب، فتبتعد بما يقرب من ٥٠ كم. ولعل ذلك يعود إلى أن الذئاب قليلاً ما تشرب الماء، وأنها تحتزن الماء في أجوافها، وإن كانت لا تستغني عنه^(١).

وكل ما سبق صحيح إلا أن الفكرة الأخيرة عن اختزان الذئاب الماء في أجوافها، غير صحيحة، وما قلة شرب الماء إلا خشية من أن يتعرض الذئب للعطش وليس؛ لأنه يحتزن الماء في جوفه، فالماء ضروري لها، ولا سيما بعد وجبة مليئة^(٢).

الأطال

يذكر الشعراء في الشعر الجاهلي، كما في الشعر الإسلامي والأموي أن السباع، توجد إلى جانب الوحوش التي قد تعني بقر الوحش والغزلان، وهي ترتاد مناطق السكن القديمة التي أصبحت أطلالاً بعد رحيل أصحابها عنها. ولم يُحدد الشعراء جنس تلك السباع، وقد يخطر على البال أن الذئاب هي المقصودة بهذه السباع أو الوحوش. وفي الأدب الشعبي المعاصر إشارة واضحة إلى أن الذئاب ترتاد أطلال الأحبة^(٣). أما في الأدب العربي فالإشارة نادرة، مثل قول أبي خراش:

أَمْسَى سَقَامٌ خَلَاءَ لَا أُنِيسُ بِهِ غَيْرُ الذَّئَابِ وَمَرُّ الرِّيحِ بِالْغَرْفِ^(٤)

(١) Harrington, Paquet, Wolves of the wold, p.90.

(٢) Mech, The Wolf, p.169.

(٣) انظر: عبدالله بن خالد، خيار ما يلتقط من الشعر النبطي (دمشق: المطبعة العمومية، ١٩٥٢م) ص ٨٧٣. ماجد بن صالح الخليلي، ديوان الخليلي (الدوحة: دار الكتب القطرية، ١٣٨٣هـ) ص ٦٢.

(٤) ابن منظور، اللسان، "عوف". سقام: اسم واد. الغرف: شجر يذيق به، فإذا ييس، فهو الثمام، وقيل: هو الثمام عامة. وانظر: السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ٣، ص ١٢٢٨.

وكقول ابن مقبل:

وَبُدِّلَ حَالاً بَعْدَ حَالٍ وَعَيْشَةً بِعَيْشَتِنَا ضَيْقُ الرُّكَّاءِ فَعَاقِلُهُ
سَخَاخاً يَزَجِّي الذَّئْبُ بَيْنَ سُهوبِهَا وَفَحْلُ النَّعَامِ رِزُّهُ وَأَزَامِلُهُ^(١)
ومثل قول أبي عدنان: إن الذئب هي التي تسكن تلك الأطلال، ويشمل
هذا الجنس كل أنواع الذئب التي ذكرها الشعراء مثل السمع، والدَّوْبِل، أي:
الذئب، والعسبار:

..... وسنداوة فضفاضة وحضاجر^(٢)
وَسَمِعٌ خَفِي الرِّزُّ ثَلْبٌ وَدَوْبِلٌ وَتُرْمَلَةٌ تَعْتَادُهَا وَعَسَابِرُ^(٣)
وعلى هذا، يكون المقصود بالسباع في قول أبي ذؤيب هو: الذئب (التي
وصفها بأنها تأكل الناس):
أَصْبَحَ مِنْ أُمِّ عَمْرٍو بَطْنُ مَرْ فَاكُ نَافِ الرِّجِيعِ فَذْ وَسِنْدِرٍ فَأَمْلَاحُ
وَحَشًّا سَوَى أَنْ فُرَاطُ السَّبَاعِ بِهَا كَأَنَّهَا مِنْ تَبَغْيِي النَّاسِ أَطْلَاحُ^(٤)
فالمقصود بالسباع، على هذا، هو: الذئب؛ ولذا:
"يقال في السَّبِّ: بفيه العفاء، وعليه العفاء، والذئب العواء، وذلك أن
الذئب يعوي في إثر الظاعن، إذا خلت الدار عليه"^(٥).

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٢٤٠-٢٤٢. السخاخ: الأرض اللينة. الرز: الصوت. الأزامل:
الأصوات المختلفة.

(٢) السنداوة: الذئبة. الفضفاضة: اللحيمة. الحضاجر: اسم للضبع أو لولدها.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ١٨٥. الثلب: الهرم. الثرملة: من أسماء الثعالب.

(٤) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ١، ص ١٦٤. فراط السباع: ما تقدم من السباع، ولا يتفرد من
السباع إلا أخبثها. الأطلاق: المعيبة.

(٥) ابن منظور، اللسان، "عفا".

التراب

لم تذكر المراجع العلمية أن الذئب تأكل التراب، وهي ملاحظة قالها ابن فضل الله العمري: "الذئب لا تأكل التراب" ^(١)، إلا أن الشعالبي خالف هذا، فقال: "الذئب لا بُدَّ له من شيء يُلقيه في جوفه، فرمما استَفَّ التراب" ^(٢). وإن كان هذا - إن صحَّ - في حالة انعدام كل شيء يأكله.

(١) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص ٥٩.

(٢) الشعالبي، ثمار القلوب، ص ٣٨٨.